educportal
البوابة التعليمية الجزائرية

صانعة الفخّار

إنّ الإنسان لا يبدع إلا إذا أحبّ العمل الّذي يقوم به، هذا الحُبّ الّذي يجعله لا يهتمّ بآراء النّاس المنتقدين أو المادحين، لأنّه يعمل لإرضاء رغبة داخليّة، وشغف مُضمَر.

أعاد الموقِدُ إلى بَيْتِنَا الدِّفْءَ والحَرَارَةَ يَا بُنَيّ، وأَرْدَفَتْ قَائِلَةً في نفسها:

النَّارَ، النَّارَ، لَولاها لَما اسْتَطَعْتُ صُنع آنِيَة وَاحِدَة. وَانْطَلَقَ بَصَرُهَا بَاحِثًا عن الأوَانِي المَبْثُوثَة فِي الْقَاعَة... فَهِي كَانَتْ تَرَى الأوَانِي آنِيَةً آنِيَةً بِكُلِّ ذَرّات شُعُورِهَا؛ تَرَى الأَكْوَابَ وَالصِّحَافَ وَالْجِفَانَ وَالطَّوَاجِنَ وَتَرى الْمُزَخْرَفَ وَالمَنْقُوشَ وَالْمُلَوّن وما لا زَخْرَفَةَ فيه وَلا نَقْشَ عَلَيه.

كَانَتْ نَفْسُهَا مُكْتَظَّةً بالأوَانِي الْمَوْجُودَة فِي كُلّ مَكَان من قَاعَة الْبَيْت. وَكَانَ مَاضِيهَا أيضا مَمْلُوءًا بِهَذِه الصِّنَاعَة؛ فَهِي فَنّانَةٌ، وَفَنُّهَا أَكسبتهَا إِيَّاهُ السّنُونُ الطَّوِيلَة الَّتِي عاشَتهَا، وَأكسبهَا إِيَّاهُ الْعَمَلُ الْمُتَوَاصِل الّذي لَمْ تَنْقَطِعْ عَنهُ طَوَال حَيَاتهَا، وَأَكْسَبتهَا إِيَّاهُ الْوِرَاثَة، فَقَدْ كَانَتْ أُمُّهَا صَانِعَة فَخَّار، ثُمَّ أكسبَهَا إِيَّاهُ **شَغَفٌ** دَائِمٌ وَطمُوحٌ مُتَوَاصِل نَحو الإتْقَان.

كَانَتْ كلّما شَرَعتْ فِي صُنْع آنِيَة أَفرَغَتْ فِي إِنْشَائِهَا جُهْدَهَا وكُلَّ حَنَانِهَا وَكُلَّ شَوْقِهَا، ورسمَتْ عليها كُلَّ مَا يجري حَوْلَهَا من أَحدَاث وما **يَعتَمِل** فِي نَفْسِهَا مِنْ عوَاطف رسمَتْ ذَلِكَ خطوطا مُسْتَقِيمَة أو متكسّرة أو مُتَوَازِيَةً أو مُتلاقيةً. ومِنْ جَمِيع تِلْكَ الْخُطُوط تَبْرُزُ فِي النِّهَايَة رُسُومٌ جَمِيلَة الْهَنْدَسَة وَأَشْكَال تُعبِّرُ عَنْ ذِكْرَيَاتٍ وَأَحْدَاثٍ لا يَفْهَم رَمْزَهَا النَّاس.

لم تَكُنْ تَهْتَمُّ بالنَّاس أَنْ يَفْهَمُوا زَخْرَفَتَهَا أو لا يَفْهَمُوا، فَهِي لَيْسَتْ مُؤَرِّخَة إِنَّمَا صَانِعَةُ فَخَّار. فَخّارهَا إِنْ لَمْ يُذَكِّر النَّاسَ بِأَحْدَاث مَرَّتْ بِهِمْ فهو عَلَى كُلِّ حَال يَكْفِيهِم حاجتَهُمْ فيمَا يَسْتَعْمِلُونَهُ لِلطّعَام وَالشّراب.

[**عبد الحميد بن هدوقة. ريح الجنوب**]

أثري لغتي

أردفت: تابعت.

شغف: تعلق.

يعتمل: يثور.